يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى ا عليه وسلّم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة Bه وهو الذي أنعم ا عليه أي بالإسلام ومتابعة الرسول صلى ا عليه وسلّم { وأنعمت عليه } أي بالعتق من الرق وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر حبيبا إلى النبي صلى ا عليه وسلّم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة Bها : ما بعثه رسول ا صلى ا عليه وسلّم في سرية إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داوود عن عبد ا البهي عنها .

وقال البزار : حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال : حدثني أسامة بن زيد Bهما قال : كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب Bهما : فقالا : ياأسامة استأذن لنا على رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : فأتيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فأخبرته فقلت : علي والعباس يستأذنان فقال صلى ا عليه وسلّم : [أتدري ما حاجتهما ؟ قلت : لا يارسول ا قال صلى ا عليه وسلّم : لكني أدري قال : فأذن لهما قالا : يارسول ا جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب إليك ؟ قال صلى ا عليه وسلّم أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد قالا : يارسول ا ما نسألك عن فاطمة قال صلى ا عليه وسلّم فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم ا عليه وأنعمت عليه] وكان رسول ا صلى ا عليه وسلّم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية ودرعا وملحفة وخمارا درهما وستين دنانير عشرة وأصدقها المطلب عبد بنت أميمة وأمها هاB وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان فمكث عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فجعل رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول له : [أمسك عليك زوجك واتق ا] قال ا تعالى : { وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه } ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف Bهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها .

وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس Bه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك Bه قال : إن هذه الاية { وتخفي في نفسك ما ا مبديه } نزلت في زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك Bه قال : إن هذه الاية { وتخفي في نفسك ما ا مبديه } نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة بن علي عن عيينة ابن حدثنا مرزوق هاشم بن علي حدثنا أبي حدثنا : حاتم أبي ابن قال هماB

زيد بن جدعان قال : سألني علي بن الحسين Bهما ما يقول الحسن في قوله تعالى : { وتخفي في نفسك ما ا مبديه } فذكرت له فقال : [لا ولكن ا تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد Bه ليشكوها إليه قال : اتق ا وأمسك عليك زوجك فقال : قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما ا مبديه] وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة Bها أنها قالت : لو كتم محمد صلى ا عليه وسلّم شيئا مما أوحي إليه من كتاب ا تعالى لكتم { وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه } وقوله تعالى : { فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها } الوطر هو الحاجة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذي ولي تزويجها منه هو ا D بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولامهر ولا شهود من البشر .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم يعني ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس Bه قال : لما انقضت عدة زينب Bها [قال رسول ا A لزيد بن حارثة اذهب فاذكرها علي فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول ا A ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت : يازينب أبشري أرسلني رسول ا A يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي D فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول ا A فدخل عليها بغير إذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول ا A وأطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول ا A واتبعته فجعل A يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يارسول ا كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه] ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به { لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم } الاية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به .

وقد روى البخاري C عن أنس بن مالك Bه قال : إن زينب بنت جحش Bها كانت تفخر على أزواج النبي فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني ا تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد ا بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة Bهما فقالت زينب Bها : أنا الذي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة Bها : أنا التي نزل عذري من السماء فاعترفت لها زينب Bها وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال : كانت زينب Bها تقول للنبي A إني لأدلي عليك بثلاث وما من نسائك امرأة تدلي بهن : إن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك ا D من السماء وإن السفير جبريل E .

وقوله تعالى : { لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا } أي إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء وذلك أن رسول ا A كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة Bه فكان يقول له زيد بن محمد فلما قطع ا تعالى هذه النسبة بقوله تعالى : { وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم وا يقول الحق وهو يهدي السبيل * ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند ا } ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول ا A بزينب بنت جحش Bها لما طلقها زيد بن حارثة Bه ولهذا قال تعالى في آية التحريم { وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم } ليحترز من الابن الدعي فإن ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى : { وكان أمر ا مفعولا } أي وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره ا تعالى وحتمه وهو كائن لامحالة كانت زينب Bها في علم ا ستصير من أزواج النبي A